المؤتمر العلمي الدولي المتخصص في اللغة والأدب في دورته الثالثة
الموسوم بـــ(اللغة العربية حية بانتمائها نامية بجهود أبنائها)
كلية التربية أبوعيسى – فسم اللغة العربية – جامعة الزاوية – 2023م

روافد الشعر العربي في قصيد شوقي (دراسة وصفية تحليلية)

إسماعيل محمد علي الصابري
كلية الآداب
جامعة الزاوية

مقدمـــــة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبيهِ محمدٍ في كلِّ وقتٍ وحين، تأثر بما قالـــه (كعب بن زهير) وأهداهُ بردتهُ، أما بعد: فقد روي عن بعض السلف قولهم: "حسبك مـــن الأدب أن تروي الشاهد والمثل"، ويقول عليه السلام: "إن منْ الشعرِ لحكماً"[1].

فالشعر رسالة سامية يتألق وميضها في سماوةِ الفكرِ، ثم تنبعث أشعتها إلى صحيفة القلـــبِ، فيفيض بلالائها نوراً يتصل خيطه بأسلة اللسان، فينفث بألوان من الحكمة ينبلج بها الحالك، ويهتدي بدليلها السالك...

من خلال تتبع تاريخ الأدب يتضح جلياً تأثير الشعر العربي القديم في شعراء النهضـــة مـــن جانبين: الأول بناء القصيدة الشعرية حيث جرى معظم الشعراء في بناء قصيدتهم الشعرية على طريـــق السلف في العصور الخصبة الأولى أو ما يعرف بالقصيدة العمودية.

الثاني: التأثر بأغراض ومعاني القصيدة العربية، فكان من أبرز أولئك المبدعين "أحمد شوقي" (1868-1932) وهو وكاتب مسرحي مصري، لُقِب بأمير الشعراء، ويعد من أشـــهر الشـــعراء العرب ومن رواد الشعر العربي الحديث، والحركة الأدبية، ظريف الوزن، لطيف القافية خاطره طـــوع لسانه، وبيانه أسير بنانه، له ديوان شعر، الشوقيات في أربعة أجزاء ، تكلم عـــن الإســـلام وأبطالـــه الخالدين، تأثر بالسابقين وحاول التجديد فكانت روافد الشـــعر العـــربي سمـــة بـــارزة في نتاجـــه الشعري....[2]، ظهر تأثره واضحاً بأبي نواس، وأبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وإنك لتلمحُ فيه حلاوة أبي نواس ودقة وصفه، وتصرفه في فنون الغزل وإشادته بمجالس اللهو، وافتنانه بالخمريات، كما نلمحُ

في شعرهِ احتفال أبي تمام بالمعاني الرقيقة، أما أثر المتنبي في شعره ففيما ترى من شيوع الحكمة والإكثار من ضرب المثل"[3]، وغالباً ما تجد روح الشعر الجاهلي والإسلامي والعباسي والأندلسي في نتاج شوقي الشعري، بما فيه من ألفاظ عذبة جزلة فصيحة.

وبداية نستطيع القول: أن شوقي تأثر في شعره بالقصيدة الجاهلية، فذكر الطلل والرسم وديار المحبوبة، وهذه طريقة معهودة عند العرب، يقول في مطلع قصيدة (بُعد المنفي):

أُنادي الرَسمَ لَو مَلَكَ الجَوابا وَأُجزيهِ بِدَمعِيَ لَو أَثابا[4]

وكان شوقي ملتزماً في رسالته الشعرية وصور في رسالته الشعرية التزامه بعروبته وأحاسيس وطنهِ، وهو قريب من حب الشاعر لأطلاله وديارِه يقول شوقي :

كانَ شِعري الغِناءَ في فَرَحِ الشَرقِ وَكانَ العَزاءُ في أَحزانِه

كُلَما أَنَّ بِالعِراقِ جَريحٌ لَمَسَ الشَرّقُ جَنبَهُ في عُمانِه[5]

ولَّما كان أحد محاور مؤتمركم الموقَّر هذا موسوماً بعنوان (النص العربي بين الأصالة والتجديد)، ولما كان من الأهمية بمكان أن يتم الترابط بين التراث العربي وبين الأدب الحديث، وهي مسألة غاية في الأهمية؛ إذ من خلالها يتم الترابط بين الأجيال، والإفادة من المنبع الصافي المتمثل في التراث العربي الجاهلي والإسلامي والعباسي والأندلسي...، ومن ثمَّ عزمتُ على جعل عنوان بحثي هذا المتواضع (روافد الشعر العربي في قصيد شوقي) دراسة وصفية تحليلية محاولاً لملمة ما تناثر في كتب الأدب والشروح بما يفي باكتمال صورة الموضوع معتمداً في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي.

وقد حاولت من خلال هذه الدراسة تتبع آثار الشاعر، وكيف وظَّف التراث؟، ونسج على منوال السابقين من الشعراء، وكيف استطاع بعبقريته تسخير النماذج الجاهلية والإسلامية على اختلاف عصورها في خدمة نصه الشعري، فكان جهده ذاك يصبُّ ويؤكد فكرة أن اللغة العربية حيةً بإنتمائها نامية بجهود أبناءها، والنص العربي أصيل ما دام ضارباً بجذوره في أرض خصبة استمدت حياتها من بقاء القرآن الذي ﴿ لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[6]، إضافة إلى استلهام عبق الشعر الجاهلي قبلهُ الذي يُعد ديوان العرب، ومرآة حياتهم، وقمة إبداعهم، ومن ثَّم فقد حالف أمير الشعراء النجاح في خدمة الشعر العربي واللغة العربية التي تنفرد بخاصية قدرتها على التجديد والبقاء، وقديماً قسّم القرطاجني المعاني إلى قسمين: أ- قديمة متداولة ، ب- جديدة مخترعة[7].

وقد قيل "أن العمل الفني يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماماً مثل الكائن البشري، فهو لا يأن فراغ ولا يفضي إلى فراغ"[8] .

ويؤكد ابن قتيبة فكرة أن الشاعر أو المنشئ امتداد لأصوات السابقين من الشعراء الذين حفظ أشعارهم واستكثر منها، فمكن له ذلك أن يكون نابغاً وبارعاً في قول الشعر[9].

ومن الأمور الهامة التي لابد منها ضرورة وإدامة النظر في الأعمال السابقة بحيث تشكل أصولاً يستمد منها الشاعر نتاجه الشعري، فما أكثر ما تحدث شوقي في شعره عن الإسلامِ، وكتابهِ، ورسولهِ، ولغتهِ، وعن تاريخهِ، ومفاخرهِ، ومآثرهِ، ... وحسبنا ديوانه الرفيع الذي سماه (دول العرب وعظماء الإسلام) [10].

وقد جاء شوقي بهذا النص التراثي بين الأصالة والتجديد والانتماء يحاول أن يجد مكانهُ الصحيح في وقت كثر فيه أعداء اللغة العربية الذين تنكروا لدينهم وعروبتهم، وانزلقوا في مستنقع التقليد ومسايرة أفكار المستعمر بدعوى الحرية في كل شيء، واتهام اللغة العربية بالعجزِ، وأنها سببُ كل تأخرٍ وبلاءٍ حسب زعمهم، فقد ظهرت العديد من الدعوات لترك اللغة الفصحى وإبدالها بالعامية، فهذا (ميخائيل نعيمة) صاحب كتاب (الغربال) يقول: "كل ما ورثناهُ من الماضي قديماً عتيقاً لا يلائم حياتنا، ولا يناسب حاجاتنا حتى يجب علينا أن ندير له ظهورنا، وألا نفتح أمامه عقولنا[11].

ولإيجاز هذه الدراسة اعتمد الباحث خطةً هي على النحو التالي:

– مقدمة وفيها تمهيد لموضوع البحث

– الفصل الأول: تباين الاتجاهات الفكرية.

– الفصل الثاني: بروز الحس الوطني عند الشاعر.

– الفصل الثالث: روافد الشعر العربي في قصيد شوقي.

– الفصل الرابع : إبداع لون الشعر المسرحي أو التمثيلي.

ثم ديلت هذ الدراسة بخاتمة وتوصيات الباحث وفهرسة للمصادر والمراجع .

الفصل الأول

تباين الاتجاهات الفكرية

ذهب (سلامة موسى)[12] صاحب كتاب (اليوم والغد) إلى القول: "بأن الأدب يجب أن يكتب بالعامية، وأنه إذا كتب بإخلاص، فإنه يرتفع على الأدب الفصيح البليغ إذا كتب للملوك والأمراء...."، ولعل هذا القول ينطبق تماماً على المثل "كلمة حق يراد من ورائها باطل".

وكان (أحمد لطفي السيد)[13] رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1945 من الداعين إلى (عقد الصلح بين العامية والفصحى)، وغيرهم كثير، ومن الداعين إلى نظم الشعر بلغة العامة محمد عثمان جلال، بحجة واهية حتى تفهمه العامة والكثرة من الأمة، وقد قيل أنه من واضعي أساس القصة الحديثة والرواية والمسرحية في مصر ...[14].

إن الفطرة السليمة تحتم وتنجذب إلي موسيقى الشعر، فهذا عالم الاجتماع ابن خلدون في تعريفه للشعر يرى بوجوب القافية ويشترط الوزن والروي للكلام كي يكون شعراً "هو الكلام المبني على الاستعارة، والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي"[15]، إن السمة البارزة عند شعراء العصر الجاهلي والإسلامي الالتزام بموسيقى ا لشعر ووحدة القافية والروي، حتى أطلق على بعض الشعراء تسمية عبيد الشعر أمثال أوس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى وذلك أن "موسيقى النفس تتوقف على موسيقى اللفظ، وكلما كانت الكلمات متآلفة المقاطع متناسقة الأصوات اشتد تأثيرها في العقل وحسن وقعها في النفس ..."[16].

وقد عدّ ابن رشيق القيرواني من شروط الشعر أن يكون محصور في وزن وقافية يحتاج الشاعر إلى زيادة الألفاظ والتقديم والتأخير فيها، بينما الكلام المذكور لا يحتاج فيه إلى شيء[17]، غير أنه في العصر الحديث اختلفت الآراء حول موسيقى الشعر وتباينت الاتجاهات إلى: الاتجاه الأول: يدعو إلى التخلص من البحور الخليلية، الاتجاه الثاني: يجيز تعدد القوافي وتنوعها مع جواز تعدد البحور الشعرية، الاتجاه الثالث: يدعو إلى الالتزام بالموسيقى التقليدية[18].

ففي مقابل الاندفاع السريع في اتجاه الثقافة الغربية بَرَزَ اتجاه آخر معاكس، تمسك أصحابه بالتراث الفكري للأمة من خلال العودة إلى أصول الثقافة العربية، والشعر الأصيل متخذين من روافد الشعر العربي ومضامينهِ وأشكالهِ قوالب يحتذى بها، فَقُدِّرَ لهم النجاح والتوفيق، وكان في طليعة هؤلاء الشعراء أحمد شوقي.

ولابد من الإشارة إلى أن هؤلاء الشعراء قد توسموا المستقبل المشرق من خلال إحياء التراث والعودة إلى الماضي المجيد، ولا يمكن للأدب العربي أن ينبت على السطح أو في الفراغ، فلا بد من جذور لهذا الأدب تساعد على إعادة إحيائهِ، ونموهِ، وازدهارهِ، فلكل جديد في الفن قديم سبقه،

وبالقياس عليه سمي جديداً، ولكل تجديد في الشعر تقليد، ولولاه لما عُدَّ تجديداً، ويكتمل الجديد في القديم، والتجديد في التقليد ..." [19].

وقديماً تعرض أجدادنا لمحاولة إفساد اللغة، فتصدوا لها مؤلفين الكتب في ذلك، فقد ألَّفَ (علي بن حمزة الكسائي) ت 189هـ كتاب (ما تلحن فيه العامة)، وأبدع (أبو عبيدة) معمر بن المثنى كتاب (لحن العامة)[20]، ولعل ذلك ما حدا بشاعر النيل حافظ إبراهيم إلى الردِّ على أولئك المشككين المنبهرين بكل ما هو غربي مقلدين غالبيهم، وهذه المسألة أشار إليها ابن خلدون في مقدمته[21]

وعن هذه الحالة يقول حافظ إبراهيم:

أَرى كُلَّ يَومٍ بِالجَرائِدِ مَزلَقاً ... مِنَ القَبرِ يُدنيني بِغَيرِ أَناةِ
وَأَسمَعُ لِلكُتّابِ في مِصرَ ضَجَّةً ... فَأَعلَمُ أَنَّ الصائِحينَ نُعاتي
أَيَهجُرُني قَومي عَفا اللَهُ عَنهُمُ ... إِلى لُغَةٍ لَم تَتَّصِلِ بِرُواةِ
سَرَت لوثَةُ الإِفرِنجِ فيها كَما سَرى ... لُعابُ الأَفاعي في مَسيلِ فُراتِ[22]

الفصل الثاني بروز الحس الوطني في شعر شوقي

برز الحس الوطني بوضوح عند الشاعر أحمد شوقي في تعزيته للشعب السوري في نكبة دمشق، يقول:

سلامٌ من صبا بَردَىَ أرقُّ ... ودمعٌ لا يُكفكف يا دِمشقُ[23]

وفي أحداث لبنان ونكبة بيروت يقول:

يا رَبِّ أَمرُكَ في المَمالِكِ نافِذٌ ... وَالحُكمُ حُكمُكَ في الدَمِ المَسفوكِ[24]

فكانت أشعاره بمثابة البلسم الشافي الذي يداوي جروح الأمة.

وقد رافق بروز أولئك الشعراء المبدعين نخبة من العلماء المفكرين المصلحين الذين قاموا بتبصير الناس بحقيقة ما يحاك بالأمة العربية ولغتها ودينها [25].

فقد نبه الشيخ (عبدالرحمن الكواكبي) في كتابه أم القرى على خطر المبتدعة وغلاة المتصوفين فيما يقومون به من تشويش الدين والدنيا على العامة... ذلك أن الدين يعرفُ بالعلمِ، والعلم يعرفُ بالعلماء العاملين، وأعمال العلماء قيامهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية إلى خيري الدنيا والآخرة...، غير أن ضعيفي العلم وفاقدي العزم تطلعوا إلى هذه المنزلة وحسدوا أهلها..." [26].

ومما قاله (الرافعي)[27]: " إن من عجائب الدنيا أن قمة الحضارة الرفيعة هي بعينها مبدأ سقوط الأمم، وهذا عندنا هو السر في أن الدين الإسلامي يَكرهُ لأهلهِ أنواع الترف والزينة والاسترخاء ...[28].

وملخص القول أن ثمة زمرة حاولت إلباس الحق بالباطل، فشنت هجوماً على تراث أمتنا، فمرة يسخرون من الداعين إلى الرجوع إليه، وأخرى يتهمون اللغة بالقصور، وعدم تماشيها مع متطلبات العصر وروحه، والحمد لله الذي سخر من أبناء الأمة رجالاً {صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}[29]، كانوا بالمرصاد لتلك الدعوى الواهية والمزاعم الباطلة.

فهذا (شوقي) يقف مزجراً في هجاء (مصطفى رياض) رئيس وزراء مصر الذي امتدح الاستعمار الغربي والمندوب السامي البريطاني، بقوله:

خَطَبتَ فَكُنتَ خَطباً لا خَطيباً ... أُضيفَ إِلى مَصائِبِنا العِظامِ
لُهِجتَ بِالِاحتِلالِ وَما أَتاهُ ... وَجُرحُكَ مِنهُ لَو أَحسَستَ دامي
جَنَيتَ عَلى قُلوبِ الجَمعِ يَأساً ... كَأَنَّكَ بَينَهُم داعي الحِمامِ[30]

فكانت هذه الأبيات بمثابة صفعة أيقظت ضمير الأمة، وردتْ من تطاول على الأمةِ العربيةِ الإسلامية ولغتها خاسئاً وهو حسير، يقول شوقي منبهاً من خطر الجهل والأمية بأسلوب ساخر، حاثاً على العلم والتعلم وأنه سبيل الرقي والتقدم والمجد:

أَيَطلُبُ المَجدَ وَيَبغي العُلا ... قَومٌ لِسوقِ العِلمِ فيهِم كَسادُ[31]

تلاحظ كيف بدء شوقي بيته مستفهماً بالهمزة زيادة في السخرية والتقريع لمن يتأملون ركوب الجبال دون جد واجتهاد، وفي قصيدة بعنوان (تحلية كتاب) يبين شوقي أهمية الكتاب، والمثابرة على مدارستهِ كأنه المتنبي في زمانهِ، يقول شوقي:

أَنا مَن بَدَّلَ بِالكُتبِ الصِحابا ... لَم أَجِد لي وافِياً إِلّا الكِتابا
صاحِبٌ إِن عِبتَهُ أَو لَم تَعِب ... لَيسَ بِالواجِدِ لِلصاحِبِ عابا
كُلَّما أَخلَقتُهُ جَدَّدَني ... وَكَساني مِن حِلى الفَضلِ ثِيابا[32]

ولعل القارئ يلحظ كيف جمعت تلك المقابلات في أبيات شوقي معاني غايةً في الروعةِ والبهاءِ، وكيف قابل الشاعر بين الوفاء والعيب، وبين الجدةِ والنضارة، وبين الخِلقِ والبِلى، وقريب من هذا المعنى قول المتنبي:

أعز مكان في الدنيا سرجُ سابحٍ وخير جليس في الزَّمانِ كتابِ

وقد ظهرت بدايات البعث والتطوير في الشعر العربي الحديث من خلال شعراء ملتزمين بقضايا الأمة، فنادوا بالوقوف في وجه المستعمر الغاشم، وكان من أولئك المناضلين تحت علم الضاد الشيخ (إبراهيم اليازجي)[33] الذي كانت مواقفهُ موافقةً للتطلعات الشاعر أحمد شوقي الحماسية، يقول:

تَنَبَهوا وَاستَفيقوا أَيُّها العَرَب فَقَد طَمى الخَطبُ حَتّى غاصَتِ الرُّكَبُ
أَلِفتُم الهون حَتّى صارَ عِندَكُمُ طَبعاً وَبَعضُ طِباعِ المَرءِ مُكتَسَبُ
لا تَبتَغوا بِالمُنى فَوزاً لِأَنفُسِكُم لا يُصدقُ الفَوزُ ما لَم يَصدُقِ الطَّلَبُ[34]

وفي عام 1914 نُفي شوقي إلى إسبانيا حتى لا يهيج بأشعارهِ عواطف الشعب ضد الظلمِ، وهناك قال بيته المشهور الذي لم يخل من النقد:

وطني لَوْ شُغِلتُ بالخلدِ عَنهُ نَازَعتّني إليه في الخُلدِ نفسي[35]

أعتقد أن شاعراً كشوقي قدَّمَ للإسلام وأبدع أروع القصائد في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم– وتحدّث عن كتاب الله، وتاريخ الأمة المشرّف، وحسبنا ديوانه الشعري الذي سماه (دول العرب وعظماء الإسلام) الذي نظمه في منفاه وطبع بعد وفاته وكله من بحر الرجز...[36] والدّين قصائد رائعة، ونافح ودافع على العروبة يفوته شيء كهذا، فيقع في نقد النقاد، ولكن كما يقولون يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره، غير أن ذلك لم يشفع له عند المتربصين.

الفصل الثالث: روافد الشعر العربي في قصيد شوقي

من الينابيع الصافية في شعر شوقي مدائحه للسلطان العثماني التي تحس فيها نبرة المتنبي حين يمدح سيف الدولة الحمداني، وبطولاته في حرب الروم، يقول شوقي:

بِسَيفِكَ يَعلو الحَقُّ وَالحَقُّ أَغلَبُ وَيُنصَرُ دينُ اللَهِ أَيّانَ تَضرِبُ

ومَا السَّيْفُ إلاَ آيةُ المُلكِ في الوَرَى ولاَ الأمْرُ إلا للذي يتَغَلَّبُ
فَأدب به القَوْمَ الطُغاةَ فإنَه لَنِعْمَ المُرَبي للطُغَاةِ المؤدَبُ[37]

ويقول في قصيدة أخرى:

الدَهرُ يَقظانُ وَالأَحداثُ لَم تَنَمِ فَما رُقادُكُمُ يا أَشرَفَ الأُمَمِ
هَبّوا بِكُم وَبِنا لِلمَجدِ في زَمَنٍ مَن لَم يَكُن فيهِ ذِئباً كانَ في الغَنَمِ
هَذا الزَمانُ تُناديكُم حَوادِثُهُ يا دَولَةَ السَيفِ كوني دَولَةَ القَلَمِ[38]

ومن ثَمَّ فإنه في مقابل الاندفاع السريع في اتجاه الثقافة الغربية آنذاك يوجد اتجاه معاكس تمسك أصحابه بالتراث الفكري والأدب العربي، من خلال الرجوع والعودة إلى أصول الثقافة العربية وخاصة الشعر في عصوره المشرقة، فقد أورد الناقد التليسي رأياً مفاده أن المرحلة الأولى في البعث والأحياء هي محاولة للاستفادة من التراث العريق في تحديد الأساليب الشعرية التي تردت في هوة سحيقة، وانفصلت انفصالاً شائناً عن الكلمة العربية في عصور إزدهارها...[39].

ويشبه نفسهُ تارة بالبحتري في قوله:

إنَّ الْذي قَدْ رَدّهَا وأعَادهَا في بُرْدتيكَ أعادَ فيَّ البُحتري[40]

وتارة بالمتنبي وذلك بقولهُ:

وَلي دُرَرُ الأَخلاقِ في المَدحِ وَالهَوى وَلِلمُتَنَبّي دُرَّةٌ وَحَصاةُ[41]

يرى بعض النقاد[42] أن السبب في رجوع وعودة الشاعر إلى الموروث يكمن في إحساس الشاعر المعاصر بمدى غنى التراث، وثرائه بالإمكانات والنماذج الفنية الراقية التي تكتسب لوناً خاصاً من القداسة، وحينها يفسح المجال في قصيدته للأصوات التي تتجاوب معه والتي مرت ذات يوم بالتجربة نفسها، ومن ثَمَّ يمكن القول: إن علاقة شعرائنا بالتراث مرت بمرحلتين يمكن أن نسمي أولاهما: مرحلة "تسجيل التراث" التعبير عنهُ، والثانية: مرحلة "توظيف التراث" التعبير بهِ، وعلى رأى (بنت الشاطئ) التي صورت الالتزام الأدبي بقولها: "إن الأديب المعاصر الذي يفقد اتصالهُ بتاريخ قومه

وتراث أمته لا يصلح بحال من أن يعبر عن وجدانها المعاصر؛ لأن فقدان وعيه لشخصيتها يجعله أجنبياً عنها، غريباً عليها[43].

وفي مكان آخر ينجح شوقي في معارضته لقصيدة (نهج البردة) للبوصيري التي كان البوصيري قد عارض بها قصيدة (البردة) المشهورة (لكعب بن زهير)، قال كعب:

بَانَتْ سُعَاد فقلبي اليومَ متبولُ مُتيمٌ إثرهَا، لَمْ يُفْد مكبولُ[44]

فجاء البوصيري بعدهُ فقال:

أمِنْ تذَكُّرِ جيرانٍ بذي سلمِ مزجتَ دمعاً جرى مِنْ مقلة بدمِ
أمْ هَبْتَ الريحُ مِنْ تِلْقاء كاضِمَةٍ وأَوْمضَ البَرْقُ في الظَلْماءِ مِنْ إضَمِ[45]

فقال شوقي معارضاً البوصيري:

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ[46]

وقد بلغت قصيدة شوقي هذه أكثر من مائتي بيت، كانت من البهاء والروعة والحكم والسبك ما جعلها إيقونةً للجمالِ، ولعلك تلاحظ كيف استخدم أسلوب المقابلة والطباق الرائع في قوله: أحلَّ، وسفك، ما أوحى بتمكن الشاعر وأخذه بناصية اللغة وتطويعها، ومن ثم نجح فيما حققه بهذا الاستهلال الرائع.

فمن خلال دراستنا نجد أن الشاعر استفاد من روافد الشعر العربي الجاهلي والإسلامي في خدمة نصه الأدبي وإحكام قصائده كتأثره بالحصري القيرواني، بقوله:

مُضناكَ جَفاهُ مَرقَدُهُ وَبَكاهُ وَرَحَّمَ عُوَّدُهُ[47]

فالملاحظ في هذا البيت تصوير الوجه والحزن فمضناك أي بلغ به الحزن والموجعة مبلغاً وأن النوم ترك عيناهُ حتى ترحم عليه الزوار، وقد عارض أحمد شوقي الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) بقصيدة تبلغ حوالي ثمانين بيتاً مطلعها قوله:

لي عندك حقٌ أنشدهُ أُتقرّ بهِ أم تجحدهُ

ومن المعلوم أن الزهاوي من الشعراء المحافظين على عروبتهم وتراث أمتهم.

في حين قال الحصري:

يـــا ليـــلُ الصـــبُّ مـــتى غـــدُه أقيـــــامُ السَّـــــاعةِ مَوْعِـــــدُهُ

رقـــــدَ السُـــــمّار فأرَّقـــــهُ أَسَـــــفٌ للبَـــــيْنِ يُـــــرَدِدهُ[48]

وحاول شوقي تلمس خطى المتنبي، فأخذ المعنى وحور فيه ونقده، قال المتنبي:

وَإذا كانَـــــتِ النُفـــــوسُ كِبـــــاراً تَعِبَـــــت في مُرادِهـــــا الأَجســـــامُ[49]

ومعنى البيت يتمثل في أن من كانت طموحاته واسعة فإن تحقيقها محفـوف بالمتاعـب لا محالة، فعارضه شوقي بقوله:

وَإذا كانَـــــتِ العقـــــول كِبـــــاراً ســـــلمتْ في المضـــايق الأجســـام[50]

فالبيت الأول من الحكمة والتدبير، والبيت الثاني يمثل جوهر وعين الحكمة أيضاً لمـن أراد السلامة.

وفي سمو النفس وعدم انقطاع ذكر الإنسان بعد موته يتأثر شوقي بالمتنبي أشد التأثير حـتى يكاد يصل إلى التطابق يقول المتنبي:

ذِكرُ الفَـــتى عُمـــرُهُ الثـــاني وَحاجَتُـــهُ ما فاتَـــهُ وَفُضـــولُ العَـــيشِ أَشـــغالُ[51]

فيقول شوقي:

المَجـــدُ وَالشَـــرَفُ الرَفيـــعُ صَـــحيفَةٌ جُعِلَـــت لَهـــا الأَخـــلاقُ كَـــالعُنوانِ

فَارفَع لِنَفسِكَ بَعـــدَ مَوتِـــكَ ذِكرَهـــا فَالـــذِكرُ لِلإِنســـانِ عُمـــرٌ ثـــانِ[52]

ومن هنا يمكن القول: "إن اللغة الشعرية عملية متحركة مع مقتضيات العصـر، وظروفـهِ، ومتطلبات الحياة فيه؛ لذلك نرى شاعرنا شوقي قد وضع الألفاظ في مواضعها، واستعار التمثيل اللائق لما استُعيرت له اللفظة، وهذه صفة الشعر الجيد، وقد قيل في تعريف الأسـلوب اصـطلاحاً: "هـو الأسلوب الجميل ذو الخيال الرائع، والتصوير الدقيق الذي يظهر المعنوي في صورة المحسوس، والمحسوس في صورة المعنوي ..."."[53]، وهذا ينطبق على أسلوب شوقي، وهو مقياس براعة يحسب للشعر.

ومما جاء في شعر شوقي تأثره ببيت (امرئ القيس) من العصر الجاهلي، حيث يقول:

سَمَوتُ إِلَيها بَعدَ ما نامَ أَهلُها سُموَّ حَبابِ الماءِ حالاً عَلى حالِ[54]

فقال شوقي:

طَرَقتُ حِماها بَعدَ ما هَبَّ أَهلُها أَخوضُ غِمارَ الظَنِّ وَالنَظَرِ الشَزرِ[55]

والملاحظ أن فكرة البيتين متوافقة تتمثل في مغامرة الشاعرين في لقاء المحبوبة، لكن الاختلاف يكمن في اختيار التوقيت، فامرؤ القيس اختلس في مشيه ليلاً، أما شوقي فذهب جهاراً نهاراً، ومن هنا يمكن القول بأن شوقي تقمص شعراء سابقين، وقد يصل به الإعجاب بالنفس حداً يتصور فيه كثرة المتهافتات عليه، شأنه شأن الشاعر (عمر بن أبي ربيعة)[56] النرجسي الذي اشتهر بقلب وتغيير الفطرة من أن النساء هنَّ اللاتي يتعرضن لهُ، ويحاولن الظفر به، فنسج شوقي على تلك الشاكلة قصيدة بعنوان (خدعوها):

جاذَبَتني ثَوبي العصِيَّ وَقالَت أَنتُمُ النَاسُ أَيُّها الشُعَراءُ
فَنَظَرنَ لا يَدرينَ أَذهَبُ يَسرَةً فَيَحِدنَ عَنّي أَم أَميلُ يَمينا؟[57]

وفي موقف آخر يظهر تأثر شوقي في قصيدهِ بقصيدة (أبي تمام) المشهورة التي امتدح فيها المعتصم بالله:

السَيفُ أَصدَقُ إِنباءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ
فَبَينَ أَيّامِكَ اللاتي نُصِرتَ بِها وَبَينَ أَيّامِ بَدرٍ أَقرَبُ النَسَبِ[58]

فقال شوقي:

يَومٌ كَبَدرٍ فَخَيلُ الحَقِّ راقِصَةٌ عَلى الصَعيدِ وَخَيلُ اللَهِ في السُحُبِ
غُرٌّ تُظَلِّلُها غَرّاءُ وارِفَةٌ بَدرِيَّةُ العودِ وَالدِياجِ وَالعَذَبِ[59]

فقد شبه أبو تمام يوم (عمورية) بيوم بدر، وهكذا فعل شوقي، فشبه انتصار الأتراك على اليونان بتلك المحاولة، ومن ثمَّ أحسبُ أن سر النهضة الأدبية آنذاك قد استمدت روحها وحياتها من التراث ومن القديم الصحيح الرصين...

ومن المقابلات الرائعة ما ذكره شوقي مصوراً ما به من "داء" ومرض هو نفسه الدواء الشافي قال:

يا وَيحَ أَهلِيَ أَبلى بَينَ أَعيُنِهِم وَيَدرُجُ المَوتُ في جِسمي وَأَعضائي
مِنكَ يا هاجِرُ دائي وَبِكَفَّيكَ دَوائي[60]

وهذا القول مشطور من قول أبي نواس:

يا وَيحَ أَهلِيَ أَبلى بَينَ أَعيُنِهِم عَلى الفِراشِ وَما يَدرونَ ما دائي[61]

وحين تسمع قول شوقي:

بِحَمدِ اللَهِ رَبِّ العالَمينا وَحَمدِكَ يا أَميرَ المُؤمِنينا[62]

تحس بموسيقا وجرس وصدى قصيدة الشاعر الجاهلي (عمرو بن كلثوم) في قولهُ:

أَلا لا يَجهَلَن أَحَدٌ عَلَينا فَنَجهَلَ فَوقَ جَهلِ الجاهِلينا

الفصل الرابع: لون الشعر التمثيلي أو المسرحي عند شوقي

حاول شوقي الإفادة من مخزون التراث العالمي فنسج على شاكلة كتّاب قدامى من اليونان والإغريق لوناً رائعاً هو الأدب المسرحي أو الشعر التمثيلي، فإلى جانب إبداعه الشعري فقد تجاوز المادة التاريخية أو الواقعية إلى ما وراء الحدث، فقد حاول التعبير ما وراء القاعدة والتقليد، فابتدع فناً جديداً في الأدب العربي يحمِلُ جذوراً موغلةً في القدم، هو فن الشعر التمثيلي أو القصصي أو المسرحي[63].

يقول شوقي: "... ثم نظمت روايتي (على بك أو فيما هي دولة المماليك) معتمداً في وضع حوادثها على أقوال الثقاة من المؤرخين ... على أسلوب "لافونتين الشهير"..."[64].

وقد علّق الأستاذ (محمد حسين هيكل) في تقديمه للشوقيات على بعض قصائد شوقي، فقال: "وأنت إذ تقرأ قصائده: على سفح الأهرام، وأبو الهول، وتوت عنغ آمون، يهزك هذا الماضي في قداستها ومهابتها، وتمتلك نفس الشاعر فترفع بك من مستوى الحياة الدنيا إلى سموات الخلد..."[65].

ولعلنا نختم بما جاء في رصيد شوقي الشعري، والذي وفد على التراث العربي من أمم أجنبية، وهو (فن شعر الحكاية على لسان الحيوان) الذي نحا منحى الحكمة، والتنبيه من بعض المظاهر السلبية في المجتمع، وهذا اللون قديم العهد جاء على لسان الفيلسوف الهندى (بيدبا)، وقد ترجمهُ (ابن المقفع)[66] إلى العربية، ومن هذا اللون هذه الأبيات التي تحمل قصة رمزية على لسان الحيوان بعنوان (دولة السوء):

قال لهُ القرد: طلبت المملكة ... تكون لي وحدي بغير شركة
قال الحمار: وأنا الوزير ... والصدر في الدولة والمشير
والكلب قال: قد سألت الباريا ... يجعلني في ملك هذا قاضيا

هذا لون من النقد الاجتماعي، يوضح مساندة الشاعر لأبناء وطنه، ويبين خطر استغلال حمير السلطة للبلاد، وخطورة غير الأكفاء في تصدّر الصفوف ... ومن النماذج والعناوين التي تحمل بعداً سياسياً واجتماعياً قصيدة بعنوان (أمة الأرانب والفيل)، وقصيدة (الديك الهندي والدجاج البلدي)، وكلتاهما تحملان شحنة تعبيرية وظفها شوقي أحسن توظيف، وذلك لنقد الحياة السياسية حين كممت الأفواه، وصارت الكلمة مكبلة...

وختاماً يمكن القول بأن المعجم الشعري للشاعر أحمد شوقي مشحون بالألفاظ الرقيقة، والإيحاء الدلالي والنفسي العميق، وقد أسهم إسهاماً بارزاً في تخصيب وتنقيح وتوشية الأدب والتراث العربي الحديث وإثرائه سواء أكان الكلام قصصاً، أم حواراً أم تشبيهاً أم مجازاً، تقريراً أو حكماً بعيداً عن الخشونة والغرابة، كل ذلك حدث في زمن كادت جموع الطامعين تفتك باللغة حتى أنها أي "اللغة" وصلت إلى نعي حظها بين أهلها وتخبر بموتها.

يقول حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية:

رجعتُ لِنَفسي فأتممتُ حُصاتي ... ونَاديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
رموني بعقمٍ في الشباب وليتني ... عَقمتُ، فلمْ أجزعْ لقولِ عُداتي
وسعتُ كِتابَ اللهِ لفظاً وغايةً ... وما ضقتُ عن آيٍ بهِ وعظاتِ
فكيفَ أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلةٍ ... وتنسيقِ أسماءٍ لمخترعاتِ[67]

وختاماً نستطيع القول بأن أمير الشعراء (أحمد شوقي) نجح إلى حدٍ كبير، واستفاد من التراث العربي، واستقى من المعين الذي لا ينضب، وسخره أحسن تسخير في خدمة قضايا أمته، والذود عن لغة الضاد المباركة التي تعهد المولى – سبحانه وتعالى– بحفظها، ومن ثمّ يمكن اعتبار شوقي من زعماء الإحياء في الشعر العربي الحديث، وإنّ هذا الإحياء تمثل في رجوع الشاعر إلى ا لفترات الخصبة الأولى من جاهلية وإسلامية وعباسية وأندلسية، ونجح في أن يردّ للعربية فصاحتها وقوتها وبهائها وروعتها "فالشاعر ليس إلا معيداً لإنتاج سابق في حدود من الحرية سواء أكان ذلك الإنتاج لنفسه أو لغيره"(68).

الخاتمة

1. تعرضت اللغة العربية قبل عصر شوقي إلى حالة من التدني والهبوط لأسباب كثيرة منها: التشويش المتعمد على اللغة، والاستعمار الأجنبي على اللغة وأهلها، إضافة إلى عدم تشجيع الحكام لطبقة المثقفين الشعراء.
2. تصدى أحمد شوقي وغيره من أبناء الوطن المخلصين لتلك الدعوات الماكرة التي تُرجع سبب تخلف الشعوب العربية إلى لغتهم حسب زعمهم، محاولين بذلك إلباس الحق بالباطل، ولكن الله رمى بالحق على الباطل، فإذا هو زاهق.
3. يظهر بوضوح تأثر شوقي بالشعراء السابقين، وذلك من خلال ما سقناه من أمثلة وروافد جاهلية وإسلامية في قاموسه الشعري.
4. أبدع شوقي لوناً جديداً وفد على التراث العربي من أمم أخرى هو (القصة على لسان الحيوان)؛ وذلك للإصلاح الاجتماعي من خلال الرمزية التي تحملها تلك القصص.

{ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

التوصيات

1. نشد على أياديكم ونبارك جهودكم الرامية إلى خدمة اللغة العربية، وعلومها، وأهلها من خلال تشجيع القيام بمثل هذه المؤتمرات العلمية، ونلتمس من وزارة التعليم والبحث العلمي مساندة البحاث، والأخذ بأيديهم لطريق الإبداع، فإن التاريخ يروي ما حصل في تلك الفترات التي أُهْمِلَ فيها شأن المثقفين والشعراء والأدباء، حتى صارت نقطة حالكة السواد في جبين الأمة.

2. جعل عنوان هذا المؤتمر الموسوم بعنوان (اللغة العربية حية بانتمائها نامية بجهود أبناءها) يتكـــرر كل عام، لما له من أهمية علمية وأكاديمية ترقى بالدراسات اللُغوية والأدبيـــة بصـــفة خاصـــة، وبالتعليم الجامعي بصفة عامة؛ إذ يتم الترابط بين الأجيال واستخراج عبقرية المبـــدعين، وإبـــراز المثقفين.
3. من خلال الندوات والمؤتمرات العلمية يحدث تبادل الخبرات، والتقاء المفكرين يقوى الـــروابط، ويدفع إلى الأمام؛ وذلك للخروج من المناخ الضيق والولوج عبر المنصات المحلية إلى العالمية، مـــا يحدث نشاطاً وزيادة مستوى المؤشرات الدولية في جودة التعليم الجامعي في ليبيا هو أمر مطلوب وغاية في الأهمية.
4. من الخطوات التي يجب القيام بها من المسؤولين على وضع المناهج الدراسية اعتماد نماذج أدبيـــة راقية من التراث العربي للدفع وتحسين مستوى ثقافة الطلاب، والانتماء إلى النص العربي الأصيل.

قائمة المصادر والمراجع

(1) ينظر فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، محمد بن محمد العسقلاني، المطبعة البهية المصرية، ط4، 1408هـــ، ص442.
(2) ينظر: صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر/ زكي فهمي، كذلك ينظر: أحمـــد شـــوقي ويكيبيديا wiki<ar.m.wikipedia.ocg
(3) دراسات في الأدب العربي ومدارسة، محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص89.
(4) ديوان أحمد شوقي، شرح رشيد حبيب الأشقر، دار صادر بيرت لنبان ، ط3، 1993، ج1، ص54.
(5) الشوقيات، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط18، 1992، ج2، ص193.
(6) سورة فصلت الآية: 42.
(7) ينظر : تاريخ النقد العربي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط4، 1983م، ص 555.
(8) ينظر: ثقافة الأسئلة ، عبد الله الغدالي، (مقالات في النقد والنظرية)، النادي الأدبي الثقافي، جـــدة، ط2، 1992م، ص 111.
(9) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: محمود محمد شاكر ، دار الحديثـــة ، القـــاهرة، 2006م، ص 120.
(10) حركات التجديد في الشعر العربي، محمد عبدالمنعم خفاجي، ص24.

(11) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، بعنوان دعوات هدامـــه، ص288-379.

(12) كاتب مصري، دعا إلى الفرعونية، له كتاب (المرأة ليست عبداً للرجل) ... ينظـــر الأعـــلام، ج3، ص107-108.

(13) كان ينعت بأستاذ الجيل، شارك في تأليف حزب الأمة، ينظر: الإعلام، ج1، ص200.

(14) ينظر: الأعلام، ط2، 1987، ص11.

(15) ينظر: مقدمة ابن خلدون في تعريف الشعر.

(16) ينظر: دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر ، المطبعة النموذجية ، القـــاهرة، 1949م، ص 93.

(17) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ، ابن رشيق القيرواني، ج1، ص85.

(18) ينظر: الغربال، ميخائيل نعيمة ، دار المعارف مصر، 1943م، ص 103.

(19) ينظر الشعر العربي الحديث مرحلة وتطور، جلال خياط، دار الرائد، بـــيروت لبنـــان، ط2، 1987، ص11.

(20) ينظر: اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، كارم السيد غنيم، طبع مكتبة الساعي، جدة، الرياض، لا ط، ص25-35.

(21) ينظر: مقدمة ابن خلدون، الفصل الثالث والعشرون بعنوان "أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"، منشورات مكتبة الهلال، ص101.

(22) ديوان حافظ إبراهيم، دار صادر بيروت، لبنان، ط2، 2002، ج1، ص210.

(23) الشوقيات، أحمد شوقي، ج2، ص74.

(24) الشوقيات، ج1، ص162.

(25) ينظر: مدرسة الأحياء التراث، إبراهيم السعافين، دار الأندلس، ط1، 1981، ص38، كذلك ينظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، ص327-337.

(26) أم القرى، عبدالرحمن الكواكبي، لا ن، لا ط، ص27-31.

(27) مصطفى صادق الرافعي، عالم بالآدب، شاعر، له ديوان شعر، وتاريخ آداب العرب، وتحت راية القرآن، ورسائل الاحزان، وحي القلم، ينظر: الأعلام، ج7، ص235.

(28) ينظر: وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، ج3، ص198-205.

(29) من سورة الأحزاب، الآية 23.

(30) ينظر: الشوقيات، ج1، ص209.

(31) المصدر السابق، ص117.

(32) المصدر السابق نفسه، ج2، ص18.

(33) عالم بالأدب واللغة، ولد في بيروت، تولى تحرير جريدة النجاح، له ديوان شعر مات في القاهرة، ينظر: الأعلام، ج1، ص76.

(34) ديوان: إبراهيم اليازجي، تقديم هارون عبود، لا ط، 1983، ص25.

(35) الشوقيات، ج2، ص46.

(36) ينظر: حركات تجديد الشعر العربي، مصدر سابق، ص24.

(37) الشوقيات، ج1، ص42.

(38) المصدر السابق، ص225.

(39) ينظر: رفيق شاعر الوطن، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، 1988، لا ط، ص13.

(40) ينظر الشوقيات، ج1، ص173، ص93.

(41) ينظر الشوقيات، ج1، ص93.

(42) ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، على عشري زايد الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، ط1، 1978، ص15، كذلك ينظر: الشعر العربي الحديث قضاياه وظواهره الفنية والاجتماعية، عز الدين إسماعيل، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص307.

(43) ينظر: قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ، ص65.

(44) ديوان كعب بن زهير، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت لبنان، ط1، 1995، ص84.

(45) البوصيري مادح الرسول العظيم، عبدالعال الخمامصي، مكتبة الهداية، بيروت لبنان، ط2، 1993، ص47.

(46) الشوقيات، ج1، ص190.

(47) الشوقيات، ج2، ص122.

(48) ديوان أبي الحسين الحصري القيرواني، تحقيق: محمد المرزوقي مكتبة المنار تونس، 1963، ص139.

(49) ديوان المتنبي، دار صادر بيروت لبنان، ط3، 2003، ص170.

(50) الشوقيات، ج1، ص142.

(51) ديوان المتنبي، ص170.

(52) الشوقيات، ج1، ص158.

(53) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدى وهبة، كامل المهندس، مكتبة المثنى لبنان، ط2، 1984، ص35.

(54) ديوان إمرئ القيس، دار صادر بيروت لبنان، 2003، ص141.

حُباب: حَبا الرَّجُلُ: مشى على يديه وبطنه، وحبا الصبي حبواً مشى على أسته: ينظر مختار بالقاموس، مادة [ح ب و].

(55) الشوقيات، ج2، ص157.

(56) (عمر أبي ربيعة) ت 93هـ مخرومي من قريش، أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفـرزدق ... رفع أمرُه إلى (عمر بن عبدالعزيز) قيل أنه يتعرض للنساء الحُجّاج ويشبه بهنَّ، فنفاهُ إلى (دهلك)، ينظر: الأعلام، ج5، ص52.

(57) الشوقيات، ج2، ص112.

(58) ديوان أبي تمام، شرح د. محي الدين صبحي، دار صادر بيروت لبنان، ط1، 1997، ص96.

(59) الشوقيات، ج1، ص59، يصف شوقي (اللواء، بأنه أغر، والغُرّةَ بياض في الجبهة، ورايه مرفرفة يبدو للناظر منها ضوء ونور، إلخ...

(60) الشوقيات، ج2، ص114.

(61) ديوان أبي نواس، دار صادر بيروت لبنان، ط1، 2001، ص14، واليت من البسيط.

(62) الشوقيات، ج1، ص280.

(63) يُعد الشعر التمثيلي أو المسرحي من الفنون الأدبية في العصور الوسطى، فقد عُـرِفَ عنـد الرومـان واليونان القدامى مما يعرف بشعر الملاحم ومنه الألياذة لهوميروس، والأوديسة وهي ملاحم يختلط فيهـا الواقع بالأساطير بالبطولات.

(64) ينظر: رواد التجديد في الشعر العربي الحديث، أنس داود، المنشأة الشعبية للنشر ليبيا، ص25.

(65) الشوقيات، المقدمة بقلم د. محمد حسين هيكل، ص11-12.

(66) عبدالله بن المقفع، ت192هـ، من أئمة الكتاب، أول من عنى بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ترجم كتاب "أرسطو طليس، كتاب كليلة ودمنة ... ينظر الأعلام، ج4، ص140.

(67) ينظر: ديوان حافظ إبراهيم، قصيدة بعنون اللغة العربية تنعي حظها، دار صادر بيروت لبنـان، ج1، ص242.

(68) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، محمد مفتاح ، ط1، دار التنوير للطباعة والنشـر، الدار البيضاء، 1985م، ص124-125.